ظاهِرَة النَّفَس الطَّوِيل في الحَدَث التَّارِيخِي: دِراسَة لِأُنْمُوذَجَيْ حُرُوب الاسْتِرْداد الإسبانية والاستعمار الأُوروبي الكلاسِيكي والحَدِيث

The phenomenon of long-term duration in historical events: a study of the spanish reconquista and classical and modern european colonialism

lahcene.brahim@univ-ouargla.dz

ابراهيم لحسن [1]*

[1] جامعة قاصدي مرباح – ورقلة (الجزائر)، البريد المهني: lahcene.brahim@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام: 2026/07/06 تاريخ القبول: 2026/08/23

ملخص:

تَسْعَى هذه الوَرَقَة البَحْثِيَّة إلى الإشارَة إلى ظاهِرَةٍ اصطَبَغَت بِها بَعْضُ الأَحداث التَّارِيخِيَّة. يُمْكِنُ تَسْمِيَتَها بِظاهِرَة النَّفَس الطَّوِيل في الحَدَث التَّارِيخِي. تَمَّ استخلاصُها عَبْرَ استقراء مَجموعَة مِن هذه الأَحداث. إِذْ جَرَى تَطْبِيقُها في هذه الدِّراسَة على حَدَثَيْ حُروب الاسترداد الإسبانية خلال الفَتْرَة المُسَمَّاة بِالعَصْرِ الوَسِيط. وكَذَا المَشرُوع الاستعماري الأوروبي الكلاسيكي (ق 15 – 16م) والحَديث (ق 19 – 20م).

كلمات مفتاحية: حُرُوب الاسترْداد، ظاهِرَة النَّفَس الطَّوِيل، الاستِعمار، الحَدَث التَّارِيخِي.

Abstract:

This research paper aims to highlight a phenomenon that has characterized certain historical events—a phenomenon that can be termed the "long-haul" nature of historical events. This concept was derived through an analysis of a series of such events; specifically, the study applies it to the Spanish *Reconquista* wars of the medieval period, as well as to the European colonial project in both its classical (15th–16th centuries) and modern (19th–20th centuries) phases.

Keywords: Reconquista; the phenomenon of long-term endurance; colonialism; historical event.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تَبْرُزُ أَهمِيَّة عِلْم التَّارِيخ في أَنَّهُ مُناسَبَةٌ لِلتَّعَلُّمِ مِن أَحداث الماضي، وأَخْذِ الدُّرُوس والعِبَر مِنها. لِأَنَّهُ وبِبَساطة – أي عِلم التَّارِيخ – " فَنٌّ عَزِيزُ المَذهب، جَمُّ الفوائد شَرِيفُ الغايَة. إذْ هو يُوقفنا على أحوال الماضين مِن الأُمم في أخلاقهم، والأنبياء في سِيَرهم، والمُلوك في دُوَلِهم وسِياستهم. حتى تَتِمَّ فائدة الاقتداء في ذلك لِمَن يَرُومُهُ في أحوال الدِّين والدُّنيا"[1]. هذا ما جَعَلَ هذا العِلْم ذا مَكانَةٍ عِلْمِيَةٍ كَبِيرَة، وذلِك " لِمَا يَحْوِيهِ مِن المَوَاعِظ والإنذار بِالرَّحِيل إلى الآخرة عن هذه الدار، والاطِّلاع على مَكارم الأخلاق لِيُقتدى بها، واستعلام مَذَامّ الفِعال لِيَرغَب عنها أولوا النُّهى"[2].

ومِمَّا يُلاحَظ على كِلا النَّصَّيْن السَّابِقَيْن أَنَّهُما اشتركا في ذِكْرِ فائِدَةٍ تُعْتَبَرُ مِن بَيْنِ أَهَمّ فَوَائِدِ عِلْم التَّارِيخ، وهي "الاقْتِداء". وهذا الأَخِير يَنْطَبِقُ على الأُمُور الإيجابية من التاريخ، أي باقتداء الأَجيال بِسِيَر الأَسْلاف. وعلى الوَجْه الآخَر، مِمَّا يُستَفادُ – أيضاً – من التاريخ وأَحداثِه "استعلام مَذَامّ الفِعال لِيَرغَب عنها أولوا النُّهى" وذَوِي البَصِيرَة في أُمُور " الدِّين والدُّنيا". هذا يَعْنِي أَنَّهُ بِدِراسَة التَّارِيخ والتَّأَمُّل في أَحداثِهِ يَتَسَنَّى لِلمَرْءِ الاستفادَةُ من الأمور الإيجابِيَّة والصَّفَحات المُشرِقة التي مَرَّ بِها الأَوَّلون. وفي نَفْس الوقت هو – أي التاريخ – مَحَطَّةٌ للاعتبار من أخطاء الماضي قَصْدَ تَجَنُّبِ الوُقوع فيها مُستقبَلاً. فَمَعاً لاستعمال التارِيخ كأَداةً لِبناء وطنِنا الجزائر وحِفظ وِحْدَتِهِ وأَمْنِهِ واستقرارِهِ، وكافَّة أُمَّة الإسلام. بَدَلَ استخدامِهِ كَمِعْوَلِ هَدْمٍ سَعْياً لِتَحْقِيقِ ضِدِّ كُلُّ ذلك.

يُمْكِنُ أَن يَتِمَّ ذلك – مَثَلاً – عَن طريق التَّأَمُّلِ في الحَدث التَّارِيخي تأَمُّلاً يُفْضِي بِصاحِبِهِ إلى استخراج فَوَائِد وأَفكار ونَظَرِيات مُستوحاة مِن هذا التَّأَمُّل الإيجابي في الأَحداث الماضِيَّة. وعلى هذا

[1] ابن خلدون عبد الرحمان، 2001، ص 13.

[2] المقريزي، 1998، ص 5.

الأساس تَمَّ – هاهُنا في هذه الوَرَقَة البحثية – اقتراح وِجهَة النَّظَر هذه التي أُطْلِقَ عَلَيْها "ظاهِرة النَّفَس الطَّوِيل في الحَدَث التَّارِيخِي".

وعلى كُلٍّ، فقد تُأُمِّلَ هُنا في هذه الدِّراسَة في حَدَثَيْن تاريخِيَّيْنِ هامَّيْن مِن ماضي الصّراع الحَضاري بين عالَمَيْ الغرب والشَّرق وبين ضِفَّتَيْ البحر الأبيض المتوسِّط الشماليَّة والجنوبية. يَتمَثَّلُ هذين الحدثين في: حُروب الاسترداد الاسبانية (Reconquista)، والاستعمار الأوروبي الكلاسيكي (ق 15 – 16) والحديث (ق 19 – 20). إذْ ومن خِلال التَّعَمُّق في دِراسَة هذين الحدثين وتَتَبُّع مَسار تطوُّرِهما التَّارِيخي عبر مُدَّتِهما الطَّويلة. يُمكِن القَوْلُ بأن هذه الظاهرة (ظاهرة النَّفَس الطَّويل في الحدث التَّارِيخِي) تَنْطَبِق عليهما إلى دَرَجَةٍ كبيرة. وتأسِيساً على كُلّ ما سَبَق، يُحاوِلُ هذا المَقالُ عَبْرَ **إشكاليَتِهِ الرَّئيسِيَّة** تَعريف القارِئ بهذه الظاهِرة ومَدى انطِباقِها على هذين الحدثين التاريخيين المُختارَيْن كأُنموذَجَيْن لها (حُروب الاسترداد الإسبانية، الاستعمار الأوروبي الكلاسيكي والحديث).

2. التَّعْرِيف بِوِجْهَة النَّظَر "ظاهِرَة النَّفَس الطَّوِيل في الحَدَث التَّارِيخِي"

هناك بعض الأحداث التاريخية التي تمتد زَمنياً إلى فَترات طويلة، لِعِدَّة أسباب أهمُّها استمرار نَسَق الحدث التاريخي وتجدُّدِه – أحياناً – في عِدَّة أشكالٍ مختلفة عبر فَتراتٍ مُمْتَدَّة زَمنياً، نتيجة توفُّر وتواجُد مجموعة من الأحداث التاريخية الأخرى التي ساهمت في هذا الاستمرار.

بالإمكان القول بأنها وِجهَة نَظَر شخصية استَمَدَّها الباحث من خلال التَّعَمُّق والتَّأَمُّل في حدثين تاريخيين يُعتَبَران من المَحطَّات المهمّة في إطار الصراع الحضاري المتواصِل بين الشَّرق والغرب. فهي مُتَعَلِّقة بالأحداث التاريخية الماضِيَّة، لكن ليس كل هذه الأَحداث. بل تنطبِقُ على التي تَتَّسِمُ بِطول مُدَّتِها وتَجَدُّد سَيْرُورَتِها عبر فتراتٍ زمنية طويلة قد تَصِلُ إلى عِدَّةِ قُرون. ومِن أَهَمّ خصائِصِها أَربَعة نِقاط، كما هو مُوَضَّحٌ فيما يَلِي:

- ✓ **طُول المُدَّة الزَّمَنِيَّة:** أي أَنَّها تنطبِقُ على الأحداث الطَّويلة والمُستَمِرَّة الحُدوث والتَّجَدُّد عبر مُدَّةٍ زَمَنية طويلة قد تمتَدُّ لِقُرُون.

✓ **استمرار أَصْلُ هذا الحَدَث وجَوهَرِهِ بِغَضِّ النَّظَر عن احتفاظِهِ بتَسْمِيةٍ واحِدَة:** بِمَعْنى ليس بالضرورة أن يستمِرَّ هذا الحدَث الواحِد بِتَسمية واحدة، بل قد تتغيَّر تَسمِيَتُه على مُستوى عِدَّة فترات. لكن أَصل الحدث وجوهَرُهُ ومُحَرِّكاتُهُ الأَساسيَّة تبقى نفسها مع اختلاف المُسَمَّيات وظُروف وُقُوعِهِ.

✓ **مُرور الحدث بِمَراحِل مُتَعَدِّدَةٍ:** بِما مَعناهُ أنّ الحدث الذي يَتَّصِفُ بهذه الظاهِرَة قد يَشهَد بعض المراحل من التَّوَقُّف المُؤَقَّت الذي ربما قد تَطول فترتُه نوعاً ما (أي هذا التوقف).لكن ذات الحَدث سُرعان ما سَيَستعيدُ بَرِيقَهُ ونَشاطه وعناصِره بِنَسَقٍ جديد وتَفاصيل جديدة. أو حتى بفاعِلِين جُدد ومَكان وزمانٍ جديدين. لكن جوهَر الحدث في كل مرحلة يبقى نفسُه وله علاقة ضِمْنِيَةٍ بِأَصْل الحَدَث منذ بدايَة وُقُوعِهِ في المَرَّة الأُولى.

✓ **تَعَلُّق هذا الحدث بِصراعٍ حضاري بين طَرَفَيْن ما أو قوَّتَيْن ما:** أي أنّ أحداث هذه الظاهِرَة تَخُصُّ في الأَساس أحداث لها علاقة بالصِّراعات الحضارية البشريَّة. خاصَّةً ما تَعَلَّقَ مِنها بالصراع الحضاري بين الغرب والشرق، أو بين الضِّفَّتَين الشَّماليَّة والجنوبية للبحر الأبيض المتوسِّط.

وجديرٌ بِالذِّكْر، فإنَّ وِجهَة النَّظَر هذه تختلف عن نظرية "تاريخ الحقبات الطويلة الأَمَد أو تاريخ البِنى"[3] لِصاحِبِها فرنان بروديل أَحَد أبرز رُوَّاد مدرسة الحوليات الفرنسية. فبروديل نادى في نظريته هذه بِعَدَم التَّركيز على شَقّ الأحداث التاريخية السياسية الكُبرى في دراسة التاريخ، وبالمُقابِل يُنادي بالتركيز على الجوانب الأُخرى في هذه الدراسة خاصّة **الجانِب الجغرافي**. فالأُطُر الجُغرافية اعتبرها بروديل بِأَنَّها "تختزِن مُجمَل التجارِب التي عاشَها البَشَر، وبالتالي لا يُمكِنُ مُقارَبَتَها إلَّا بعلاقتها بالزَّمَن الشَّدِيد البُطء وبِعَلاقَتِها بالإنسان نفسِه"[4]. وعلى العكس من ذلك، فظاهِرة النَّفَس الطويل الوارِدة هنا في هذه الدراسة

[3] فرنان بروديل، 1993، ص 15.

[4] نفسه، الصفحة نفسها.

هي في الأساس تُعْنَى **بالأحداث التاريخية السياسية الكُبرى** التي تحمِلُ بُعداً وعُمقاً حضارِيّاً في مَسألة وُقُوعِها. خاصّةً ما ارتبَطَ مِنها بِمَسألة العلاقات والصِّراعات الحضارية البشرية فيما بينها.

وجدير بالذكر أيضاً، فإنّ وجهة النَّظَر هذه تختلف – كذلك – عن نظرية صِراع الحضارات لِصاحِبِها صامويل هنتجتون[5] التي تَدرُس الصراعات الدولية المُعاصِرة وتُحاول استشراف أَماكِن الصراع والنِّزاع بِالعالَمِ في **المُستقبَل** القريب. في حِين أنّ وجهة النَّظَر هذه تُرَكِّزُ على دراسة **الأحداث الماضية** الطويلة والتي استمَرَّت لِمُدَدٍ زمنية طويلة. وبطبيعة الحال، فإنّ صمويل لا يُوافِق هنا على طَرحِه القاضي بمحاولة التَّنَبُّؤ بالنِّزاعات الدولية في العالَمِ في المُستقبَل لأن هذه من أُمور الغيب التي لا يَعلمُها إلَّا الله تعالى. باستثناء ما وَرَدَ في هذا الشَّأن في القرءان الكريم والأَحاديث النَّبَوِيَّة الصَّحيحة.

لقد سَبَقَ الحديث عن ظاهرة النَّفَس الطَّويل في الحَدَث التاريخي، تَعْرِيفاً بها وبِأَهَمِّ خصائِصِها, وفيما يَلِي سيَتِمُّ التَّطَرُّق إلى مَدى انطباق وِجهَة النَّظَر هذه على حدثين تاريخيين بارِزَيْن في إطار الصراع الحضاري الذي كان قائماً بين الغرب والشَّرْق: حُروب الاسترداد الإسبانية والحركة الاستعمارية الأوروبية الكلاسيكية والحديثة[6].

3. حُروب الاسترداد الإسبانية ومَدَى تجسِيدِها لِظاهِرة النَّفَس الطَّويل في الحدث التاريخي:

1.3 مفهوم حُروب الاسترداد الإسبانية[7]:

حَرَكَة الاسترداد الإسبانية Al reconquista (الريكونيكيستا) هي تَسمية أَطلقها المُؤَرِّخون الإسبان في وَصفِهِم للفترة التي حاولت الممالِك النَّصرانية الإسبانية التَّصَدِّي للوُجود الإسلامي طِيلَة تواجُدِه في الأندلس أو شِبه الجزيرة الأيبيرية. هذا بالرَّغم من أَنَّ هذا المُصطلَح لا يَرِدُ البَتَّة في المصادِر الإسلامية

---

[5] عن هذ النَّظَرِيَّة، بالإمكان الرُّجوع إلى: صامويل هنتنجتون، 1999، (مُعظَم مُحتويات الكِتاب).

[6] للتَّذكير فقط، فإن هذه الدراسة ليست مُناسَبَةً للتعريف بِهَذَيْن الحدثين بِشكلٍ مُعَمَّق، بِقَدْرِ ما هي مُحاولة للتعريف بوجهة النَّظر هذه (ظاهرة النَّفَس الطَّويل في الحَدَث التاريخي) ومَدى انطباقِها على هذين الحدثيْن التاريخيين (حُروب الاسترداد الإسبانية والحركة الاستعمارية الأوروبية الكلاسيكية والحديثة).

[7] هذا لا يعني بتاتاً بأَنَّ كاتِبُ هذا المقال مُتَبَنِّي لهذا المصطلح ومَدلوله. بل على العكس من ذلك تماماً. وإنَّما جاء استخدامُه كمصطلح تاريخي عِلمي ليس إلَّا.

الوسيطة، ولا يُعثَر على ما يَقوم مَقامَهُ أو يُشاهِهُ في دَلالَتِهِ. عِلْماً بأنَّ هذا المشروع كان مشروعاً مُشتَرَكاً بين الإمارات والممالك النَّصرانية في شمال شِبه الجزيرة. ساهَمَ في الأَخير في تأسيس إسبانيا الجديدة بعد خَوْضِ هذه الحَرَكَة حُروبا اصطبَغوها بِصِبْغَةٍ دِينِيَّةٍ نَصرانِيَّة هَدَفَت هذه الحَرَكَة إلى مُحاوَلَة تخليص شِبْه الجزيرة مِن سُلطان المُسلِمين[8].

لكن المُفارَقَة هنا، أَنَّهُ وبالرَّغم مِن تمَكُّن الإسبان ومِن ورائهم هذه الحَرَكَة (حُرُوب الاسترداد) مِن تحقيق هدفهم المُتَمَثِّل في الاستيلاء على غرناطة آخِرِ مَعاقِل المُسلمين في الأندلس سنة 897هـ/ 1492م، إلَّا أَنَّهم واصَلوا في شَنِّ هَجَماتِهم وغُدوانِهم نحو خارِج الأندلس "ووسَّعوا نُفُوذَهم خارِج شِبْه الجزيرة الأيبيرية"[9] خاصَّةً نحو سواحِل بُلدان بلاد المغرب الإسلامي نهاية القرن 9هـ ومَطلع القرن 10هـ (نهاية ق 15 م وبداية ق 16م). مِمَّا يَدُلُّ على أَنَّ لهذه الحَرَكَة أبعاداً حضارية ودينيَّة أعمق لا تقتصِرُ فقط على تحقيق ما صَبَت إلَيْهِ في البداية وهو إجلاءُ سُلطان المسلمين من الأندلس.

وفِيما يَأْتِي، عَرْضٌ مُخْتَصَرٌ لِأَبْرَزِ فُصول ومَراحِل هذه الحَرَكة[10]:

مِن المُتَعارَف عَلَيْهِ أَنَّ حَرَكَة حُرُوب الاسترداد كانت بداياتها الأولى بعد نهاية عملية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس سنة 95هـ/ 714م. أي خِلال البدايات الأولى لعصر الوُلَّاة في الأندلس (95 – 138هـ/ 714 – 756م). إذ تَجَمَّعَت بعض الأفراد القليلة مِن بقايا الجيش القوطي المُنهَزِم أمام الفاتحين المُسلمين. تجمَّعَت هذه الأفراد بزعامة قائد يُدعى بلاي بمنطقة جبال استوريش شمال شبه الجزيرة الأيبيرية. زَهِدت الجيوش الإسلامية في الأندلس بِشأن هذه القِلَّة واستصغرت أَمرها. وواصل المُسلمون في فُتوحاتِهم خارج جبال البَرتات (أَلْبِرْت) الفاصِلة بين شبه الجزيرة الأيبيرية وبلاد غالة (فرنسا) مُعتَقِدِين أن

---

[8] قاسم عبد سعدون الحسيني، 2020، ص 72.

[9] قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 72.

[10] عن كل هذا التَّحليل والشَّرْح، يُنظَر: عبد الرحمان علي الحجي، 1981، ص 268 وما بعدها. حسين مؤنس، 2002، ص 360 وما بعدها و ص 363 وما بعدها. عبد المحسن طه رمضان، 2001، ص ص 507 – 510. قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 72.

فتحَهُم لِأَيبريا قد تَمَّ بالكامِل. وأَنَّ هذه الفِئَة القليلة المُتَمَرْكِزَة في جبال استوريش النَّائِيَّة والبَعيدة لن يَتَسَنَّى لها فِعْل أَيُّ شيء.

لكن الأمر كان على عكس ذلك إِذ سُرعان ما أعلنت هذه الفِئة بقيادة بلاي عدائها للمسلِمين. في البداية لم تستطِع أن تُلحِق أي أذًى بالمسلمين بسبب تواضُع قوَّتهم. لكن لاحِقاً كان قَدَرُ الله تعالى بأنْ تُوُفِّرَت لها بعض الظُّروف التي ساعَدَتْها على النُّمُوّ التَّدريجي وعلى تشكيل أول الإمارات النَّصرانية التي ستظهر في شمال شبه الجزيرة فِيما بَعْد. ومِن جُمْلَة هذه الظُّروف الفِتَن والاضطرابات الدَّاخِلية التي عَصَفَت بالداخل الإسلامي الأندلسي خِلال مرحلة عصر الوُلَّاة (95 – 138هـ/ 714 – 756م) بسبب اشتداد وَطْأَة العَصَبِيَّة القَبَلِيَّة. مَعَ ما صاحَب نهاية هذا العصر (الولاة) في الأندلس من ظروف خارجية وداخلية أُخرى كسُقوط الخلافة الأموية في المشرِق وتأسيس الدولة الأموية بالأندلس سنة 138هـ/ 714 على يَدِ عبد الرحمان الداخل. وعلى العُموم فقد تَمَكَّن الأمويون في الأندلس مِن كَبْحِ جِماح النصارى في الشمال ولم يُشَكِّلوا خَطراً كبيراً على الأندلس طوال فترة حكم الدولة الأموية له (138 – 422هـ/ 756 – 1030م).

وتُعتَبَرُ الفَترة التي تَلي سقوط الخلافة الأموية في الأندلس أي فترة ملوك الطوائف (422 – 483هـ/ 1031 – 1091م) مَرحلة القوة الفِعْلِيَّة الأولى لحركة الاسترداد بعد مَرحلتِها السابِقة (مرحلة الميلاد والنَّشْأَة). فسيطرت خلال فترة ملوك الطوائف على أكثر من نصف الأندلس استولت من خلالها على مناطق ومُدُن هامَّة، يأتي في مُقَدِّمَتِها طُلَيْطِلة سَنَة 478هـ/ 1085م.

ثُمَّ شَهِدَت هذه الحركة تَوَقُّفاً مُؤَقَّتاً خلال عصر الدولة المرابطية التي تَمَكَّنت من هزيمة هؤلاء النصارى في مَوْقِعة الزَّلاقة الشَّهِيرة سنة 479هـ/ 1086م. استمَرَّ هذا التَّوَقُّف طِوال الفترة المرابطية كُلّها إلى غاية فترة مُعتبَرَة من الدولة الموحدية وبالضَّبط إلى غاية سنة 609هـ/ 1212 السَّنَة التي تعرَّضت فيها الدولة الموحدية في الأندلس لهزيمة ثَقِيلة في معركة حصن العقاب. ومُنذ هذا التاريخ، عادت حركة حروب الاسترداد إلى الرَّواج والنشاط وأَضحت تُسيطر على الأندلس بشكل تدريجي ومُتواصل طِوال ما يَزيدُ عن قرنين من الزَّمن. وذلك خلال عهد دولة بني نَصر (الأحمر) في الأندلس (635 – 897هـ/ 1238 –

1497م). إلى غاية أَنْ تَمَكَّنت هذه الحركة – أَخيراً – مِن القضاء على آخِرِ مَعاقِل المسلمين بالأندلس باستيلائها على غرناطة سنة 897هـ/ 1492م.

2.3 تطبيق ظاهرة النَّفَس الطَّوِيل في الحَدَث التَّارِيخي على حركة حُروب الاسترداد الإسبانية:

في المُجمَل، يُعتَبَرُ هذا الحدث واحِداً مِن أَحْسَن النَّماذج مِن الأحداث التاريخية التي يُمْكِنُ أن تَنْطَبِق عليها هذه الظاهِرَة. وذلك استناداً إلى ما يَلي:

أولاً: طُول المُدَّة الزَّمَنِيَّة للحَدَث:

لقد سَبَق التَّنْوِيه إلى طُول مُدَّة هذا الحدث. الذي كان "خِلال الحِقْبَة الزَّمَنِيَّة المُمْتَدَّة على مَدار الثَّمانية قُرون (98 – 897هـ/ 716 – 1492م)"[11] أي طِوال فترة التَّواجُد الاسلامي في الأندلس تقريباً.

ثانياً: استمرار أَصْل هذا الحدث وجَوْهرِه بِغَضِّ النَّظَر عن اختلاف تَسْمِياتِهِ:

لقد سَبق التنويه – أيضاً – إلى أَنَّ تسمية حروب الاسترداد هي من إطلاق مُؤَرِّخي إسبانيا المُعاصِرون حول الفترة التي قَضَتها الكِيانات النَّصرانية في شمال أيبيريا في محاولتها التَّصَدِّي للوجود الإسلامي في الأندلس، مِن لَدُن بداية دخول المسلمين إليه (الأندلس) إلى غاية إنهاء سُلطانِهم به سنة 897هـ/ 1492م[12]. ومن المَعلوم بأن هذه الحركة لم تظهَر بهذا الاسم خاصة في بداياتها الأولى. وكانت أَنْ مَرَّت بمراحِل عِدَّة تَمايَزت ما بين الظهور تارةً والأُفول تارَةً أُخرى.

لكن التَّسمية غير مُهِمَّة هاهُنا، فإنْ طال أَمَد هذا الحَدَث عبر مَراحل وقُرون طِوال ناهَزَت الثمانية قُرُون من فُصولِها – ربما – بِتَسميات وشِعارات مختلفة ليس بالضَّرورة أن تُطابِق هذه التَّسمية

11 قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 76.

12 قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 72.

الحالية (حروب الاسترداد) التي جاء بها المؤرخون الإسبان المعاصرون، إلَّا أَنَّ هذه الحركة كان هدفها واضِحاً منذ البداية. وهو محاولة إنهاء التَّواجد الإسلامي بِشبه الجزيرة الإيبيرية.

ثالثاً: مُرور هذا الحدث بعِدَّة مَراحِل:

مِنَ البَدِيهِي أَنَّ طُول الفترة الزمنية لهذا الحدث التي ناهَزَت الثمانية قُرون أنَّها لن تكون مُستمِرَّة على وَتِيرَةٍ واحدة. بل كانت تَمُرُّ بِعِدَّة مراحِل وفتَرات تَنَوَّعَت ما بين الضُّعف، القوَّة والهُدْنة. ولهذا ذهبت أَحَد الدِّراسات[13] نَقلاً منها عن أحد الدراسات الأجنبية المعاصرة[14] أنَّ هذه الحركة مَرَّت بسبعة مراحل. فبشكلٍ عام، "مَرّت حركة الاسترداد الإسبانية Al reconquista (الريكونيكيستا) بِحِقَبٍ وأطوار تاريخية. فهي تَخْبُو وتَضْمَحِلُّ حِينَما تكون الأندلس قويَّة ومُوَحَّدَة تحت لِواء الإسلام...لكنها تَنشط وتتوَسَّع حِينما يَتَزايَدُ الصِّراع والخِلاف الإسلامي الدَّاخِلي"[15]. إلى أَنْ "انتهت بعد ثمانية قرون – بمعاونة الإمدادات الصَّليبية الأوروبية المستمِرَّة – إلى إبادة سُلطان المسلِمين السياسي في شِبه الجزيرة الأندلسية بقيادة المَلِكَيْن الكاثولكيين: فِرنانْدة أو فِرْذلَند (fernando) مَلِك أرغون (Aragon) وإيزابيل (isabel) مَلِكة قَشْتالَة (Castilla) وليون (Léon)"[16] باستيلائهما على غرناطة وانتزاعها من المسلمين سنة 897هـ/ 1492م.

وفي هذه الدراسة بالإمكان القول بأنَّ حركة الاسترداد الإسبانية هذه قد مَرَّت بالمراحل الكُبرى التاليَّة:

أ. **مرحلة التأسيس والنَّشأة (98 – 422هـ/ 714 – 1030م)**: وكانت خلال فَتْرَتَيْ عصر الولاة وعصر الدولة الأموية. إذ بدأت مُباشرةً بعد انتهاء المسلمين من فتح الأندلس بثلاث سنوات أي خلال سنة 98هـ/ 714م. وهو التاريخ الذي تَجَمَّعَت فيه فُلول مَن تَبَقَّى من الجيش القوطي المنهزِم أمام الفاتِحِين المسلمين، بحيث تَجَمَّعَت هذه الفُلول في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، مُتَحَصِّنين في هذه المناطق

[13] قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 75.

[14] Chapman, Charles, 1965, p 97 – 99.

[15] قاسم عبد سعدون الحسيني، المرجع السابق، ص 74.

[16] عبد الرحمان الحجي، المرجع السابق، ص 270.

بعيداً عن أَنظار الجيش الإسلامي "بِقِيادة زعيم قُوطِي يُدْعى بلاي أو بلايُه (pelay). [إِذْ] بَدَأَ بلاي وأَتباعه تجمُّعهم – على ما يُذكَر – حوالي سنة 98هـ (718م) أو بَعدها"[17].

كان هذا التَّجَمُّع النَّصراني نواة تَشَكُّل الإمارات النَّصرانية في الشَّمال الإسباني مُعلِنَةً عدائَها للمسلمين ومُحاوِلَةً التَّصَدِّي للتَّواجُد الإسلامي في الأندلس. استغَلَّ هؤلاء النَّصارى انشغال المسلمين بالصراعات الداخِلِيَّة القَبَلِيَّة في الداخِل الإسلامي الأندلسي. وتمكَّنوا من استرجاع مناطِق شاسِعة من شَمال شِبه الجزيرة بعد أَنْ تَخلَّى عنها المسلمون دون قتال بسبب هجرتهم إلى الداخِل الأندلسي الإسلامي لِمُشاركتهم في هذه الفتنة (الصراعات القَبَلية) التي عاشتها الأندلس خلال هذه المرحلة. وبالتالي بدأ التَّحَوُّل التَّدريجي لهذه الفُلول النَّصرانية إلى كيانات وإمارات سياسية مع مُرُور الوقت أَعلَنت العداء للمسلِمين وراحت تقتَنِصُ الفُرصة كلما تَسَنَّى لها ذلك من أجل الاستيلاء على ما يُمكِنُ الاستيلاء عليه من أراضي وأَقاليم المسلمين في الأندلس[18]. واستمرَّت هذه المرحلة كما سَبَق القَوْل خلال عصر الولاة وخلال عصر الدولة الأموية في الأندلس إلى غاية سُقوطها سنة 422هـ/ 1030م.

ب. مرحلة الظهور والقوّة (422 – 479هـ/ 1030 – 1086م): وكانت هذه المرحلة خلال عصر مُلوك الطَّوائف. إذ تمكَّن النَّصارى الإسبان من الاستيلاء على أكثر من نِصف أراضي الأندلس. بحيث استولوا على الكثير من حُصونها ومُدنها المُهِمَّة من أيدي المسلمين، خاصة طُلَيْطِلَة التي سقطت في أيديهم سنة 478هـ/ 1085م.

ت. مرحلة التَّوَقُّف المُؤَقَّت – النِّسْبِي – (479 – 609هـ/ 1086 – 1212م) : وذلك خلال عهد الدولة المرابطية بالأندلس التي استطاعت التَّصَدِّي للزَّحف النصراني على أراضي المسلمين في الأندلس

[17] عبد الرحمان الحجي، المرجع السابق، ص 269.

[18] يُنظَر: عبد الرحمان الحجي، نفسه، ص 270 وما بعدها. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 381 وما بعدها وص 390 وما بعدها. محمد عبد الله عنان، 1997، ص 207 وما بعدها وص 209 وما بعدها.

في معركة الزَّلاقة الشَّهيرة سنة 479هـ/ 1086م. واستمرت هذه المرحلة خلال فترة قوة الدولة الموحدية التي خَلَفَت المرابطين على حُكم الأندلس. إلى غاية انهزامهم – أي الموحدين – على يَد النَّصارى الإسبان في المعركة الشَّهِيرة حص العقاب (609هـ/ 1212م).

ث. مرحلة العَوْدَة إلى الظُّهُور والقوّة (609 – 897هـ/ 1212 – 1492م): في هذه المرحلة مالت كَفَّة القوة في الأندلس مُباشَرةً بعد معركة حصن العقاب (609هـ/ 1212م) – بشكلٍ تَدريجي – لِجانِب النَّصارى. فَراحُوا يُسقطون المُدن الأندلسية واحِدةً تِلْوَ الأُخرى على امتداد ما يَرْبُو عن قرنيْن ونصف من الزَّمان. إلى أنْ استطاعوا – أَخيراً – من الاستيلاء على غرناطة، آخِر مَعاقِل المسلمين في الأندلس سنة 897هـ/ 1492م.

وبِغَضِّ النَّظَر عن مَدَى دِقَّة هذه التَّقسيمات وغيرها، فإنَّ الجميع مُتَّفِقُون على أنَّ هذه الحركة (حُروب الاسترداد الإسبانية) مَرَّت بِعِدَّة مراحل. وأهمّ ميزة تُمَيِّزُها في مَسار تطورها هما مَيْزَتان أو حالتان: حالة ضُعفها وتَوَقُّفها عندما تكون دولة الإسلام في الأندلس قوية وموحَّدة. وحالة النَّشاط والقوة عندما تَحِلُّ بالمسلمين الأندلسيين فِتَنٌ واضرابات داخِلِيَّة، خاصَّة تِلكم التي تُغَذِّيها الصِّراعات والنَّعَرات العَصَبِيَّة القَبَلِيَّة.

رابعاً: تَعَلُّق هذه الحركة (حُروب الاسترداد الإسبانية) بالصِّراع الحضاري بين قوّتين ما:

وهو ما ينطبِقُ فِعلاً على هذا الحدث. بحيث كان الصراع في الأساس بين القوَّتين الدينيتيْن البارزتيْن في شبه الجزيرة الإيبيرية (النَّصرانيَّة والإسلاميَّة) طِوَال مُدَّة الثمانية قُرون من فُصوله، صِراعاً حضارياً ودينياً. خاصَّة من الجانب النَّصراني الذي كان يخوض هذه الحُروب على أساسٍ ديني نصراني صليبي مَدعوماً مِن البابويَّة في أوروبا بشكلٍ عام "فقد كانت البابوية تُشَجِّعُ السُّلطة السياسية على التَّوَسُّعِ على

بلاد المُسلمين [باستخدامها لِ] عِدَّة وَسائل. مِن أَهَمِّها الدَّعْم المُطلَق لإنشاء الجماعات الدِّينِيَّة العسكرية التي ساهمت بِشَكْلٍ فَعَّال في توسيع السَّيْطَرة [النَّصرانية] في شبه الجزيرية الإيبيرية"[19].

4. الاستعمار الأوروبي الكلاسيكي (ق 15 – 16م) والحديث (ق 19 – 20م) ومَدى تجسيدِهما لظاهِرة النَّفَس الطَّوِيل في الحَدَث التَّارِيخِي:

4. 1. وَقْفَة تَأَمُّلِيَّة حول مصطلح الاستعمار: بين مَفهومِه اللغَوِي ومَدلوله التَّارِيخِي:

الاستعمار قبل أن يكون ظاهِرَةً تارِيخِيَّة هو أَوَّلاً حدثٌ تاريخيٌّ في الأَساس. ومِن المَعلوم لدى المُهتمِّين بِدِراسة تاريخ هذه الظاهِرَة أَنَّ هناك تَبَايُناً واضِحاً بين المَفهوم اللُّغَوِي لِكَلِمة الاستعمار ودَلالتِها التَّارِيخِيَّة الماضِيَّة على أرض الواقِع. إِذْ أَنَّ "مُصطلَح الاستعمار في حَدِّ ذاتِهِ مِن ناحيَّة لُغَويَّة فإنَّهُ ذو دَلالةٍ إيجابيَّة. حَيْثُ يُشيرُ إلى التَّعْمير كما قال تَعالى : [هو أَنْشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] (سورة هود، من الآية 61). وفِكرة التَّعريف هذه تتنافى مَعَ الأطماع التي يَسعى الاستعمار إليها، والأَدَقّ أن يُطلَقَ عليه مُصطلَح الاحتلال"[20].

وَعَلَيْهِ، فإنَّ أَقْرَبَ المُسَمَّيات الأَقْرب إلى الدِّقَّةِ لِلَفْظِ الاستعمار هو الاحتلال. لأَنَّ ما قام بِهِ الاستعمار أو القِوى المُستعمِرة – بشكلٍ عام – هو احتلال لِبَلَد ما أَوْ دَوْلَة ما واستيْلاء عَلَيْها بِغَيْرِ وَجه حَقّ. قَصْدَ تَحقيق ثلاثة أَهداف أَساسِيَّة: تَنْصِيرِها، استِعْباد شَعْبِها، الاستيلاء على مَوَارِدِها ومُقَدّراتها الطَّبِيعِيَّة[21].

انطلاقاً من كُلِّ ذلك يتَبَيَّنُ للقارِئ الاختلاف الواضِح بين دَلالة لَفْظ الاستعمار لُغَوِياً ومَدلُوله التَّارِيخي والسِّياسي. وجديرٌ بِالذِّكْر، فإنَّ هذا الأمر ينطَبِقُ على الاستعمار الأوروبي بمختلَف أَنواعِهِ: الكلاسيكي الذي كان بزعامة إسبانيا والبرتغال. والذي ظَهَرَ عَقِبَ نجاح حركة الكُشوفات الجغرافية نهاية

[19] كرنيف نرجس، 2021، ص 142.

[20] إيمان فتحي محمد حسن، 2023، ص 2159.

[21] ابراهيم لحسن، 2026. (مداخَلة في ملتقى دولي غير منشورة).

القرن 15 وبداية القرن 16م. أو الاستعمار الأوروبي الحديث الذي كان خلال القرنيْن 19 و20م بِزَعامة بريطانيا وفرنسا. والذي ظَهَرَ عقب ظهور الثورة الصناعية في أوروبا الغربية ابتداءً من سنة 1760م ونجاح حركة الكشوفات الجغرافية الكُبرى أو الثانية في القارَّة الإفريقية من الصف الثاني من القرن 18م إلى النصف الثاني من القرن 19. هذا الاستعمار الأوروبي الحديث الذي كان إبَّانَ القرنين 19 و20م كان قد اتَّخَذَ عِدَّةَ أَشكال لِتَنفِيذِهِ: الاستعمار الاستيطاني أو المباشِر. والاستعمار الغير مُباشِر الذي كان على شكل حِماية أو انتداب أو وِصايَة.

وبِصَرْفِ النَّظَر عن هذه الأَشكال والأَنواع، فإنَّ الاستعمار الذي قامت بِهِ القِوَى الاستعمارية الأوروبية على مختَلَف مناطق العالَم سواءً خلال مرحلة الاستعمار الكلاسيكي (ق 15 و 16م) أو الحديث (ق 19 و 20م)، فإنَّه (الاستعمار) في النِّهايَة يَبْقى استعماراً أو بالأَحرى احتلالاً لِأَرْضِ شَعْبٍ ودولةٍ ما بِغَيْرِ وَجْهِ أَيِّ حَقّ.

ولو كان المَدلول اللُّغَوِي ذو البُعْد الإيجابي لمُصطلَح أو كلمة الاستعمار مُوافِقاً للمفهوم التّاريخي والحَقيقي لهذه الكَلِمة، لَمَا تَصَدَّت الشُّعوب التي كانت مُستَعْمَرة بقوَّة لمشروع الزَّحف والغزو الاستعماري عليها. بل على العكس من ذلك تماماً، فهذه الشُّعوب التي كانت عُرْضة لهذا الغزو الاستعماري الصَّلِيبي سواءً الكلاسيكي – مِنهُ – (ق 15 – 16م) أو الحديث (ق 19 – 20م) تَصَدَّت له بِكُلِّ ما أُوتِيَ لها مِن قوَّة . وقامت (هذه الشُّعوب) فيما بَعْدُ بِمَوجات عديدة من حَرَكات التَّحَرُّر التي هَدَفَت إلى طرد المُستَعْمِر وحُصولِها على استقلالها.

ومِنْهُ، فَكَلِمَةُ الاستعمار تحتاجُ – في الأَساسِ – إلى كَثيرِ تَأَمُّلٍ وتَحْليلٍ، لِأَنَّها – كما يَعْرِفُ الجميع – ذاتُ بُعْدٍ لُغَويٍّ إيجابي مَأْخوذٌ إلى الفِعْلِ عَمَّرَ، ويُعَمِّرُ إعماراً. وهو ما يُفيد البِناء والتَّشْييد أو "التَّعْمير والإِعْمار"[22]. غَيْرَ أَنَّ المَدلول التاريخي والسياسي لهذه الكلمة شَيءٌ آخَرُ يناقِض هذا المَعْنى بِما مَعناهُ التَّخريب والاستنزاف. بِحَيْثُ يُفيدُ بالدَّرَجَة الأُولى الهَدْمَ لا البِناءَ والإِصْلاح. إذْ يَكونُ هذا الهَدْمُ

[22] حورية توفيق مجاهد، 1990، ص 17. ابراهيم لحسن، المرجع السابِق (مداخلة في ملتقى دولي غير منشورة).

مُتَعَلِّقٌ بِالشُّعوب المُستعمَرة. وإذا ما كان هنالك بِناءٌ، فهو في إطار خِدْمَة المَشروع الاستعماري للمستعمِرِ لا غَيْر[23].

4. 2. هل يُمْكِنُ أَنْ تَنْطَبِقَ ظاهِرة النَّفَس الطَّوِيل في الحدث التاريخي على المشروعيْن الاستعماريين الأوروبيين الكلاسيكي (ق 15 – ق 16م) والحديث (ق 19 – ق 20م)؟

نَعَم بِالطَّبْع، وذلك ما بالإمكان فَهْمُهُ من خِلال تطبيق خصائص هذه الظاهرة (ظاهِرة النَّفَس الطَّوِيل في الحدث التاريخي) التي سَبَقَ شرحها والتَّنْوِيهُ إليها على هذا الحدث (المشروع الاستعماري الأوروبي الكلاسيكي والحديث). وهذا ما سَيَتِمُّ تِبْيَانُهُ فِيما يَلِي:

أولاً: من حيث طُول المدة الزمنية:

بالرَّغم من اختلاف فترة وُقُوع كِلا الاستعماريْن، الكلاسيكي الذي كان خلال نهاية القرن 15 م وخلال القرن 16م، بزعامة إسبانيا والبرتغال. والحديث الذي كان خلال القرنين 19 و20م بزعامة بريطانيا وفرنسا. إلَّا أَنَّ أصل هذا الحدث وجوهَرُهُ واحد، وإن اختلف الفاعِلون في كل استعمار وإن اختلفت فتراتهم الزمنية. لأَنَّ ما قام به كِلا الاستعماريْن هو احتلال لشُعُوب وبُلدان أُخرى خارج أوروبا بِغيْر وجه حق قصد تنصيرِها واستغلال مُقَدَّراتِها كما سَبَق القول. وَأَيضاً وإنْ تَرَكَّزَ الاستعمار الكلاسيكي على العالم المُسَمَّى بالجديد (أمريكا)، والاستعمار الحديث على العلَم المُسَمَّى بالقديم (إفريقيا وآسيا). وبالتَّالِي، فإنَّ الثاني (الاستعمار الحديث) ما هو إلَّا تَكْمِلَةً للأوَّل (الاستعمار الكلاسيكي).

بل إن المَسأَلة أَعمَقُ من هذا الطَّرْح، فهذين المشروعَيْن الاستعمارين الأوروبيين هما امتداد وتَكمِلة للاستعمار الأوروبي اللاتيني للعالَم القديم، سواءً من طرف الإغريق (اليونان) أو الرومان أو البيزنطيين. فمَثَلاً الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1830 – 1962م) كان يَرَى بأَنَّ احتلاله لهذا البلد (الجزائر) "هو بِمثابَة تَتِمَّة للوُجود الروماني"[24] القديم في المنطقة. أو بالأَحرى لاستعمارِهِ القديم للمنطقة.

---

[23] حورية توفيق مجاهد، نفسُه، الصفحة نفسها. ابراهيم لحسن، نفسه (مداخلة في ملتقى دولي غير منشورة).

[24] بيبي عابد و رنيمة أحمد، 2022، ص 172.

وعلى أَيٍّ، فإنْ اكْتُفِيَ فقط – فَرَضاً – بِالقَوْل أنّ الاستعمار الأوروبي الحديث (ق 19 – 20م) تمتدّ جُذُورُهُ إلى الاستعمار الكلاسيكي (ق 15 – 16م) فَحَسْب. وأنّ الأول هو تكمِلة للثاني، فإنَّ طُول المدة الزمنية واضحة في هذا الحدث التاريخي الواحِد (الاستعمار) التي وصلت إلى حوالي الخمسة قُرون من الزمن، من القرن 15 إلى القرن 20م.

ثانياً: استمرار أصل الحدث وجَوْهره مع اختلاف تَسْمِياتِه:

الاستعمار يبقى استعماراً في كِلا النَّوعيْن الكلاسيكي (ق 15 – 16م) أو الحديث (ق 19 – 20م) بِغَضِّ النَّظَر عن اختلاف تَسْمِياتِهما. لأَنَّهُ في النِّهاية – كما سَبَقَ القَوْل – ما قامت بِهِ القِوَى الاستعماريَّة الأوروبية والغَربية بشكل عام، هو في حَقِيقَتِهِ استيلاءٌ على أَرْضِ شعبٍ ودولَةٍ ما بِغَيْرِ وَجْهِ أَيِّ حَقّ، وذلك من أجل تنصِيرِها واستغلال مُقَدّراتِها الطَّبيعيَّة والاقتصادِيَّة.

ثالثاً: مُرور هذا الحدث بِعِدَّة مَراحِل:

إذا ما تَمَّ تتبُّع تطور مشروع الحركة الاستعمارية من القرن 15 إلى القرن 20، سيُؤَدّي ذلك بالقول – وبشكلٍ مُؤَكَّد – أنّ هذا المشروع مَرَّ بمراحل متعددة ولم يَسِرْ مُطلَقاً على نَسَقٍ واحد، فنشط حيناً وخفت حيناً آخَر. وبالاستقراء الشَّخصي لتطور هذا المشروع (الاستعمار الأوروبي الكلاسيكي والحديث) من القرن 15 إلى القرن 20م، يُمكِنُ القَوْل بِأَنَّ مَسار تطوّرِهِ من الأُصُول والبِدايات إلى غاية النهاية (ق 20م)، كان على النَّحو الآتي:

ترجمة إِرْث الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي ـــــ عصر النَّهضة الأوروبية ابتداءً من القرن 14م ـــــ نجاح حركة الكُشوفات الجغرافية الأوروبية الأولى (نهاية ق 15 وبداية ق 16م) بزعامة إسبانيا والبرتغال ـــــ الاستعمار الكلاسيكي بزعامة إسبانيا والبرتغال ـــــ فترة الرُّكود والتَّوَقُّف النِّسبِي والمُؤَقَّت من منتصف القرن 17 إلى منصف القرن 18م ـــــ الثورة الصناعية في أوروبا ابتداءً من سنة 1760م (خلال النصف الثاني من القرن 18م) ـــــ نجاح حركة الكشوفات الجغرافية الثانية (الكُبرى) في إفريقيا (من النصف الثاني من القرن 18 إلى النصف الثاني من القرن 19م) ـــــ الاستعمار الحديث بزعامة بريطانيا وفرنسا (ق 19 – ق 20).

رابِعاً: تَعَلُّق هذا الحدث بالصراع الحضاري بين طَرَفَيْن ما أو قوّتيْن ما:

"اختَلَفت الآراءُ والنَّظريات حَوْلَ أَهداف الاستعمار. حَيْثُ رَكَّز البعض على الأَهداف الاقتصاديَّة، أَيْ العَمَل على استغلال المَوارِدِ الطَّبِيعيَّة لِصالِح المُستَعمِر. ورَكَّزَ البعض الآخَر على الأَهداف الاستراتيجية. أَيْ الاستفادة مِن المَوْقِع الجُغرافي للبلاد المستعمَرة وغيرها...ولكن هذه الأَهداف كانت في حَقيقة الأَمر أَهدافاً قصيرة المَدى بالنِّسْبَة للدّول الاستعماريَّة. إِذْ أَنَّ الأَهداف ذات المَدى البَعِيد كانت وما زالت أَهدافاً حضارية. [بِحَيْثُ] أَنَّ هذه الدّول كانت تَسعى دائماً لِفَرْضِ حَضارتها على البُلدان المُستَعْمَرة..."[25]. يَتَّضِحُ مِن خلال ذلك أَنَّ الجانِب الحضاري كأَحَد أَهمّ الأهداف التي سعى الاستعمار إلى تحقيقها. وفي نفس الوقت أحد أهمّ الأسباب التي حرَّكت هذا المشروع ودفعت بِه إلى الحدُوث خلال تِلك الفترة بعد الله تعالى وَقَدَرِه طبعاً.

5. خاتمة:

في آخِرِ هذا العرْض البَسيط، يُمكِنُ الخُروج بما يَلِي:

1) أَنَّ التاريخ هو مَحَطَّة لاستلهام الدُّروس والعِبَر، وليس وسيلَةً للتَّسلية وتَمْضِيَة الوقت كما قد يُتَصَوَّر للبعض ربما. فهو فُرصة للتَّعَلُّم من الماضي لِبناء حاضِرِ وَطَنِنَا الجزائر وسَائِر أُمَّتِنَا الإسلاميَّة. والحِفاظ على قوّة الجزائر ووحدَتها وحفظ مُقَوّماتها الهوّيَّاتِيَّة والحضاريَّة.
2) أَنَّ هناك العديد من الأحداث التاريخية التي تَتَّصِفُ بخاصِّيَّة النَّفَس الطَّويل. إذ استمرَّت في الحُدوث والوُجود لِقُرون وقُرون. وذلك في إطار مُحاولة إثبات الذات وكذا في إطار الصِّراع الحضاري بين قوتيْن أو طرفيْن ما. خاصَّةً بين ضِفَّتَيْ المتوسِّط الشمالية والجنوبية وبين عالَمَيْ الغرب والشَّرْق.
3) مِن بين هذه الأحداث التاريخية التي جَسَّدَت هذه الظاهِرة (ظاهِرَة النَّفَس الطويل في الحَدَث التَّارِيخِي): حُروب الاسترداد الإسبانية (98 – 897هـ/ 714 – 1492م) خلال الفترة

[25] حسن سيد سليمان، 1986، ص 55.

المُسَمَّاة بِالوسيطة. وأيضاً المشروع الاستعمار الأوروبي الكلاسيكي (ق 15 – 16م) بزعامة إسبانيا والبرتغال، والاستعمار الأوروبي الحديث (ق 19 – 20م) بزعامة بريطانيا وفرنسا. ولم يَنْتَهِ هذان الحدثان التاريخيان إلَّا بعد تحقيق الهدفان اللذان صَبَيَا إلى تحقيقِهِما. بالرَّغم من طُول المُدَّة الزمنية لهذين الحدثيْن. والتي استمَرَّت لِقُرون، وبالرغم – أيضاً – مِن فَتَرات التَّوَقُّف التي رافقَتهما عَبْرَ مُدَدِهِمَا الطَّوِيلَة.

6. قائمة المراجع:

أ- المصادر والمراجع العربية والمُعَرَّبَة:

المؤلفات:

1) ابن خلدون، عبد الرحمان (ت سنة 808هـ/ 1406م)، (1421هـ/ 2001م)، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سُهيل زكار، دار الفكر، بيروت – لبنان.
2) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العُبيدي (ت 845هـ/ 1442م)، (1418هـ/ 1998م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، وضع حواشيه: خليل المنصق، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
3) علي الحجي، عبد الرحمان، (1402هـ – 1981م)، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سُقوط غَرناطة 92 – 897هـ (711 – 1492م)، دار القلم، دمشق – بيروت، ط 02.
4) مؤنس، حسين ، (1422هـ – 2002م)، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 – 756م)، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل، بيروت – لبنان، ط 01.
5) عنان، محمد عبد الله ، (1417هـ/ 1997م)، دولة الإسلام في الأندلس، ج 01، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 04.
6) طه رمضان، عبد المحسن، (2001)، الحروب الصليبية في الأندلس ميلادها وتطورها في حتى القرن العاشر مع دراسة نقدية لمصادرها العربية والاسبانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

7) توفيق مجاهد، حورية ، (1990)، الاستعمار كظاهِرة عالميَّة، مكتبة الأنجلو المصرية، د م ن، ط 02.

8) بروديل، فرنان ، (1413هـ/ 1993م)، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإيجاز: مروان أبي سَمرا، دار المنتخب العربي، بيروت – لبنان، ط 01.

9) هنتنجتون، صامويل ، (1999)، صدام الحضارات..إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم، صلاح قنصوه، سطور، د م ن، الطبعة الثانية.

المقالات:

1) الحسيني، قاسم عبد سعدون، (مارس 2020)، حركة الاسترداد الإسبانية (Al reconquista) قراءة في المصطلح والمضمون، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة – العدد السابع والأربعون، ص ص 71 – 80.

1) فتحي محمد حسن، إيمان، (يونيو/حزيران 2023)، الاستعمار: الأنواع والدَّواعي، مجلَّة الدراسات العربية، جامعة المنيا – مصر، مج 48، ع 04، ص ص 2159 – 2176.

2) سليمان، حسن سيد، (شعبان 1406هـ/ أبريل 1986م)، ظاهِرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي، مجلة دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، ع 02، ص ص 55 – 81.

3) كرنيف، نرجس، (2021)، دور الجماعات الدينية الحربية في حركة الاسترداد البرتغالية، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، مج 05، ع 03،، ص ص 142 – 153.

4) بيبي، عابد و رنيمة، أحمد، (2022)، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومُبَرِّر الماضي اللاتيني القديم، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائر، بوزريعة – الجزائر، مج 14، عدد خاص، ص ص 172 – 193.

المداخلات:

1) لحسن، ابراهيم، (يوم 07 ماي 2026)، نَفْي فرنسا للجزائريين خلال الفترة الاستعمارية في الدراسات الأكاديمية الجزائرية الرَّاهِنة قِراءة في أُنموذَج الكتاب الجَماعي "النَّفي والإبعاد في تاريخ الجزائر المُعاصِرة 1830 – 1962"، مُداخلة ضِمن الملتقى الدولي المَوسُوم ب: "فرنسا وسياسات الإبادة والتَّهجير القسري في إفريقيا والعالم العربي – الجزائر أنموذجاً –، من تنظيم: جمعية التاريخ والآثار لولاية البويرة – الجزائر. (مداخَلة غير منشورة).

ب- المراجع الأجنبية:

1) Chapman, Charles, **A history of spain**, new york 1965 p1, Weiner, Discoveries are not to be, p 97 – 99.